تلخيص محاضرة

وتحسبونه هيّنًا

تقديم د هند القحطاني

قــال عزّ في عُــلاه: ﴿إِذ تَلَقَّونَــهُ بِأَلسِــنَتِكُم وَتَقولونَ بِأَفواهِكُــم ما لَيسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ وَتَحسَــبونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظيمٌ﴾ [النور: ١٥]

حديثنــا اليوم عن آيــة نزلت عتاباً لأفضل الخلــق، لبعض صحب رســول الله-ﷺ- رضي الله عنهم وأرضاهم في حادثة الإفك، وكان ســبب نزولها حديثٌ طعن في عِرض أم المؤمنين عائشة -رضــي الله عنها- ســمعه الصحابة -رضــوان الله عليهم- فلم ينكروا على صاحبه لغياب الحجة عنهم وعدم تثبتهم، فما كان مــن أمرهــم إلا الصمــت، **وكان ذاك الصمــت عنــد الله عظيمــاً..** فــكل ذنب من أعمــال القلب أو عمــلاً من أعمال اللســان والجوارح يســتصغره العبد ويجعله جــزءاً من تفاصيل يومه قد يكون عند الله عظيماً.

في قرن يُعد من خير القرون يخاطب الصحابي الذي طال عمره حتى أدرك التابعين من أبناء الصحابة وأبناء أبنائهم والمسلمين الجدد الذين لم يرو النبي -ﷺ- الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه قائلاً:

(إنَّكُـــمْ لَتَعْمَلُونَ أعْمالًا، هــي أدَقُّ في أعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّـــعَرِ، إنْ كُنَّا لَنَعُدُّها علَى عَهْـــدِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِنَ المُوبِقاتِ) سنن الترمذي

الموبقات هي: الكبائر التي توبق الإنسان وتُدخله في عذاب جهنم، وهذا الحديث دار بعد مدة قليلة من زمن الرسول -ﷺ-،

فكيف بزماننا وحالنا بعد تلك السنون؟

نبدأ حديــث اليوم **بالأعمال اللفظيــة**، تلك التي امتلأت تفاصيل يومنا بها وتعايشــنا معها وكأنها من المسلمات وهي من المهلكات، تلك الذنوب التي اســتصغرها العبد فأودت به، صغيرة هي في عينه كبيرة عند خالقه.

نبدأ بسؤال عُقبة بن عامر رضي الله عنه لرسول الله -ﷺ- حينمــا قال: يا رســول الله ما النجاة قال: **(أمسِــكْ عليكَ لسانَكَ، وليسعْكَ بيتُك، وابكِ على خطيئتِكَ)**سنن الترمذي

مــن معجــزات الله في خلقــه أن خلق اللســان والعين بتركيــب عضوي يختلف عن غيرهما من الأعضاء، وكأنهما يحاطــان بغلافان يجعلان اســتخدامهما مرهونــاً بالمرور بمرحلتين، ما أن تنتهي من الأولى حتى تصل إلى الثانية، تفكــر بالأولى ثم تقرر الإكمــال أو التراجع، إرادة يعقبها قــرار، وذاك لخطــورة هذيــن العضوين فهمــا مزلقان عظيمان مهلكان،

أما قوله **"وليسعك بيتك"** أي أن الأصل في الخروج هو الحاجة والبقاء في البيت هو الأصل،

"وابــكِ على خطيئتك" فبكاؤك وحــده دليل صريح على حياة قلبك واستشــعاره للذنب، فلا تجعــل قول أحدهم يحبطك بأن ذاك الشــعور شعور خاطئ فقد يكون منقذاً مُنجياً من النار.

وفي حديث آخر عن سُليمان بن عبد الله الثقفي حين قال: **يا رســولَ اللهِ حدِّثْني بأمرٍ أعتصِمُ به، قال رســولُ اللهِ -ﷺ-:(قُلْ: ربِّيَ اللهُ ثمَّ اســتقِمْ) قال: يا رســولَ اللهِ ما أكثَرُ ما تخافُ عليَّ؟ قال: (هذا) وأشار إلى لسانِه .**

صحيح ابن حبان

حيــن يكون ســؤال العبد عن الاعتصام بأمــره والنجاة ينبئ عــن همٍ أشــغله وأرقــه، لا ســؤال الباحث عن الرخصة.

حديــث آخر لمعاذ -رضي الله عنه- حينما قال: **يا نبيَّ اللهِ، وإنَّــا لِمُؤاخَذون بما نتَكلَّمُ به؟ قال -** ﷺ**-: (ثَكِلَتكَ أمُّكَ يــا معاذُ ، وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهِم أو على مَناخِرِهِم إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم)** صحيح الترمذي.

ويقول النبي -ﷺ- في حديث آخــر دالٍ على أثر الكلمة: **(إنَّ العَبْــدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُــهُ اللَّهُ بها دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ)**
صحيح البخاري.

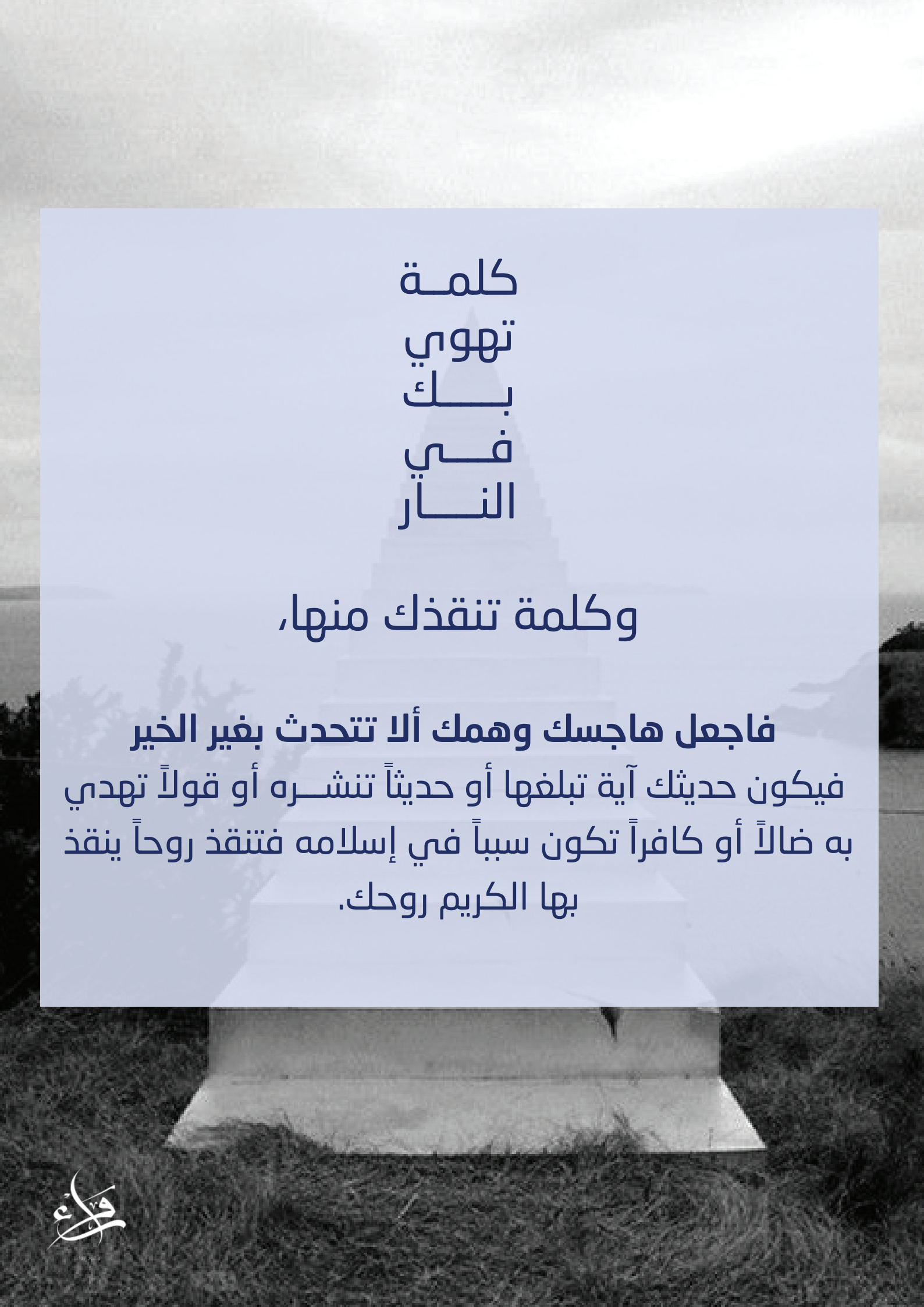

كلمــة
تهوي
بـــــك
فـــــي
النـــــار

وكلمة تنقذك منها،

فاجعل هاجسك وهمك ألا تتحدث بغير الخير
فيكون حديثك آية تبلغها أو حديثاً تنشــره أو قولاً تهدي به ضالاً أو كافراً تكون سبباً في إسلامه فتنقذ روحاً ينقذ بها الكريم روحك.

يقول - ﷺ- عن أثر سوء الكلمة:

(ليــسَ المؤمــنُ بالطَّعَّانِ ولا اللَّعَّــانِ ولا الفاحشِ ولا البذيءِ) الجامع الصغير

ويقول -ﷺ- في حديث آخر:

(ما شــيءٌ أثقلَ في ميزانِ المؤمنِ يــومَ القيامةِ مِن خُلُقٍ حسنٍ، وإنَّ اللهَ يبغضُ الفاحشَ البذيءَ) صحيح الترغيب

تخيل أن تكون مكروهاً ممّن خلقَك؟

بسبب كلمة هزَأت بها من رجل دين

أو كلمة أردت بها إضحـــــاك غيرك

أو سباب ولعان بينك وبيـــن أخيك

فيكون ذاك سبباً في غضبه عليك والتفات قلبك!

فلا يعــود ذاك القلــب مســتقيماً ولا مؤمنــاً لكون استقامة العبد وإيمانه مرهونة باستقامة لسانه.

الأفعال اللفظية التي تهوي بالعبد أهمها وأولها

الكـــــذب

وما كان خُلق أبغض لرسول الله -ﷺ- منه، قال -ﷺ- عليه الصــلاة والســلام: **(آيَــةُ المُنافِــقِ ثَــلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ...)** صحيح البخاري، وقــال -ﷺ- في حديث آخر: **(وَيلٌ للذي يُحدِّثُ القَومَ، ثُمَّ يَكذِبُ؛ ليُضحِكَهم، وَيلٌ له، ووَيلٌ له)** إسناده حسن.

لا يُكتب اسمك عند الله كذاباً منافقاً

لأجل أن تضحك أحدهم،

احذر أن تبتاع آخرتك بدنياك فتهلك.

يدلنا -ﷺ- إلى طريقين

أحدهما يهدي إلى **الجنة** والآخر يهدي إلى **النار**:

(إِنَّ الصِّــدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وإِنَّ الرَّجُــلَ لَيَصْدُقُ حتَّــى يَكونَ صِدِّيقًــا. وإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وإِنَّ الفُجُــورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا) صحيح البخاري.

وللكــذب أنواع، ولعل كذب المشــايخ أعظمها، مصداقاً لقوله -عــز في علاه- :**{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِــنَتُكُمُ الْكَــذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ *إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ}**[النحل ١٦]،

فيبحث العبد عمّن يجد له مخرجاً
يطابق صوت الشيخ فيه صوت داخله،

فيحلّل ما حرم الله تهاوناً

فيضـــع ذاك العبد المتلون **عباءة الدين بمثابة المشـــرّع**
فيهلك هو ومن تبعه،

كيف بك أن تفتري على خالقك؟

يعقب كذب المشايخ **النوع الثاني وهو الكذب على رسول الله** -ﷺ- لقوله -ﷺ-: **(إنَّ كَذِبًا عَلَيَّ ليسَ كَكَذِبٍ علَى أَحَدٍ، مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)** صحيح البخاري

والكذب على رسول الله -ﷺ- يكون بنشر حديث غير متأكد من صحته، كقول احدهم أن النظافة من الإيمان حديث، وأن الدين معاملة حديث، وكلاهما ليسا بحديثين صحيحين، وعلى المسلم تتبع الصحة والدقة في النقل عن رسول الله -ﷺ-.

النوع الثالث أن يكذب الإنسان وهو مازحاً، ومصداق ذلك قوله -ﷺ-: **(لا يُؤمنُ العبدُ الإيمانَ كلَّهُ حتَّى يترکَ الكَذبَ في المِزاحةِ، والمِراءَ وإنْ كان صِدْقًا)** صحيح الترغيب، وفي حديث آخر عنه -ﷺ-: **(أَنا زعيمٌ ببيتٍ في ربضِ الجنَّةِ لمَن ترَكَ المِراءَ وَهوَ مُحِقٌّ، وببيتٍ في وسطِ الجنَّةِ لِمَن ترَكَ الكذِبَ وَهوَ مازحٌ، وببيتٍ في أعلَى الجنَّةِ لِمَن حسُنَتْ سريرتُهُ)** الترغيب والترهيب.

بيتاً يُبنى في وديان الجنة لتارك الكذب ولو مازحاً ولتارك الجدل ولو كان محقاً، أسأل الله لنا جميعاً سكناها فالمهر قليل والسلعة غالية.

حديث البرزخ يقول -ﷺ- فيه: **(أتانِي اللَّيْلَةَ آتِيانِ، وإنَّهُما ابْتَعَثانِي، وإنَّهُما قالا لِي انْطَلِقْ، وإنِّي انْطَلَقْتُ معهُما...)** الحديث طويل، موضع الشاهد هو حديثه -ﷺ- عن مشاهد عذاب البرزخ حين قال: **(فانْطَلَقْنا، فأتَيْنا علَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفاهُ، وإذا آخَرُ قائِمٌ عليه بكَلُّوبٍ مِن حَدِيدٍ، وإذا هو يَأْتي أحَدَ شِقَّيْ وجْهِهِ فيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إلى قَفاهُ، ومَنْخِرَهُ إلى قَفاهُ، وعَيْنَهُ إلى قَفاهُ، - قالَ: ورُبَّما قالَ أبو رَجاءٍ: فَيَشُقُّ - قالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إلى الجانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ به مِثْلَ ما فَعَلَ بالجانِبِ الأوَّلِ، فَما يَفْرُغُ مِن ذلكَ الجانِبِ حتَّى يَصِحَّ ذلكَ الجانِبُ كما كانَ، ثُمَّ يَعُودُ عليه فَيَفْعَلُ مِثْلَ ما فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى)** ، يرى النبي -ﷺ- هذا المشهد فيأسى لحالهم، فيخبراه الملكان بأمرهم: **(وأَمَّا الرَّجُلُ الذي أتَيْتَ عليه، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إلى قَفَاهُ، ومَنْخِرُهُ إلى قَفَاهُ، وعَيْنُهُ إلى قَفَاهُ، فإنَّه الرَّجُلُ يَغْدُو مِن بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ)**

صحيح البخاري،

أهناك حديثٌ يستحق أن يعذبك الله به كل هذا العذاب؟ يقول -ﷺ- في حديث آخر: **(فإنَّ اللَّهَ حَرَّمَ علَيْكُم دِمَاءَكُمْ، وأَمْوَالَكُمْ، وأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا)** صحيح البخاري،

حديثك في عِرض أخيك ليس بأقل من سفكك دمه، وليس العرض مجرد زنا وفجور، فالحديث يشمل كل ما يكره المرء أن يتحدث به عنه، ونستدل بحديث الرسول -ﷺ- حين مر بالكعبة، والجلال الذي يصيب العبد حين رؤيتها وحرمتها وشرفها، أن حرمتها ليست بأكثر من حرمة العبد وشرفه فيقول -ﷺ-: **(ما أطيبَك وما أطيبَ ريحَك ما أعظمَك وما أعظمَ حُرمتَك والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه لحُرمةُ المؤمنِ عند اللهِ أعظمُ من حُرمتِك مالُه ودمُه)** الترغيب والترهيب،

فحُرمة العبد عند الله
أغلى من حُرمة بيته الشريف المعظم.

يأتــي النبي -ﷺ- لزوجته أم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها- فيقول لها أعطي دابتك لصفية، وصفية -رضي الله عنها- هي أحد زوجات النبي كانت يهودية ثم أســلمت بعد الغزوة، فتغار منها زينب بنت جحش -رضي الله عنها- القرشية ذات الحسب والنسب ولا تقبل نفسها الطلب فتقــول: أنا أُعطِي تلك اليهوديــةِ؟ فما كان من رســول الله -ﷺ- إلا أن هجرها قرابة الثلاث أشــهر حتى تابت وأدخلت الوسطاء ليعفو عنها زوجها ويعود.

وفي حادثة أخرى مشــابهة حين غــارت أم المؤمنين عائشــة -رضي الله عنها- في القصة المعروفة فقالت: مــن تكون صفية؟ -وأشــارت بيدها تعنــي قصر قامتها- فقال لها رسول الله -ﷺ-

(لقدْ قلتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بماءِ البحْرِ لَمَزَجَتْهُ) صحيح الجامع، وهي أشارت ولم تتلفظ، فكانت الإشارة تمازج ماء البحر من عظمها، وفي الحديثين استياء رسول الله -ﷺ- وغضبه وعدم رضاه عن الغيبة لا لكونهما زوجاته، بل لعظم شأن المؤمن وحرمة عرضه.

وقال النبي -ﷺ- للأعرابي: **(يا معشــرَ من آمنَ بلســانِه ولم يدخــلْ الإيمانُ قلبَــه، لا تغتابوا المســلمين، ولا تتَّبعوا عوراتِهم، فإنه من اتَّبعَ عوراتِهم يتَّبعُ اللَّهُ عورتَه، ومن يتَّبعِ اللَّهُ عورتَه يفضحُه في بيتِه)**صحيح أبي داوود

وقــال -ﷺ- :**(من قال في مؤمنٍ ما ليس فيه أســكنَهُ الله رِدْغَةَ الخَبالِ حتَّى يخرجَ ممَّا قال وليس بخارجٍ)**

صححه الألباني

وردغــة الخبال: هي عصارة أهل النــار ومكان يجمع فيه قيح وصديد حروقهم، ذاك جزاء لمن قال في أخيه ما ليس فيه.

وقــال النبي -ﷺ- في الحديث: **(خمسٌ ليس لهنَّ كفَّارةٌ الشــركُ باللَّهِ عزَّ وجــلَّ وقتلُ النَّفسِ بغيــرِ حقٍّ أو نهبُ مؤمــنٍ أو الفرارُ من الزحفِ أو يميــنٌ صابرةٌ يقتطعُ بها مالًا بغير حقٍّ)** أخرجه أحمد،

وما ذكره أبو هريرة -رضي الله عنه- حين قال:

(أما تســمعون ما أسمعُ ؟. فقلنا : وما ذاك يا نبيَّ اللهِ ؟ قال : هذان رجلانِ يعذَّبان في قبورِهما عذابًا شديدًا، فــى ذنبٍ هيِّنٍ. قلنا : فيم ذاك ؟ قال : كان أحدُهما لا يســتنزِه من البولِ، وكان الآخرُ يؤذي الناسَ بلســانِه، ويمشــي بينهم بالنَّميمــةِ. فدعا بجريدَتَيــنِ من جرائدِ النَّخلِ، فجعل في كلِّ قبرٍ واحدةٍ. قلنا : وهل ينفعُهم ذلك ؟ قال ؟ : نعم؛ يخفِّفُ عنهما مادامتا رطبتَينِ)

صحيح الترغيب.

قبران يُسمع صوت عذاب صاحبيهما في القبر

منذ أن ماتا ودفنا حتى قيام الســاعة، ليس ذاك بالوقت القصير ولا بالهيّن، فهذا رسول الله -ﷺ- يرتجف قميصه لهول ما سمع من الصراخ، وليس ذلك بالعذاب المنتهي، بل إن عذاب الآخرة ينتظرهما.

يقول النبي -ﷺ-:**(لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتّاتٌ)** صحيح البخاري.

القتات: هو النمّام الذي يمشـــي بيـــن الناس بالنميمة، هؤلاء يحرمون دخول الجنة لنشرهم الأحاديث والأقاويل بين الناس،

وقـــال النبي -ﷺ-: **(أَلَا أَدُلُّكُم علـــى أَفْضَلَ من درجةِ الصلاةِ والصيامِ والصدقةِ ؟ قالوا : بلى يا رســولَ اللهِ. قـــال : إصلاحُ ذاتِ البَيْـــنِ فإنَّ فســـادَ ذاتِ البَيْنِ هي الحالِقَةُ. لا أقولُ : إنها تَحْلِقُ الشَّعْرَ ولكن تَحْلِقُ الدِّينَ)** صححه الألباني.

الإفســـاد بين الناس يخلق التباغض والتناحر والبغضاء، فـــلا يجعل قلب العبد ســـليماً ولا يجعله راضيـــاً مطمئناً فيملأه بالحسد والكراهية على أخيه.

قـــال -ﷺ-: (دبَّ إليْكـــم داءُ الأمـــمِ قبلَكـــم الحســـدُ والبغضـــاءُ هـــيَ الحالقةُ لا أقولُ تحلقُ الشَّـــعرَ ولَكن

تحلِقُ الدِّينَ والَّذي نفســي بيدِهِ لا تدخلوا الجنَّةَ حتَّى تؤمنــوا ولا تؤمنوا حتَّى تحابُّوا أفــلا أنبِّئُكم بما يثبِّتُ ذلِكَ لَكم أفشوا السَّلامَ بينَكم) صحيح الترمذي،

يحذّر الحديث من الحسد والبغضاء ويخبر أنه حالق للدين منافٍ للإيمان، ومانع من دخــول الجنة، وينتهي الحديث بدعوة العبد إلى مغالبة نفســه بإفشاء السلام بينه وبين أخيــه، وإن كان بينهما مــا كان من الشــحناء، لأن ذلك مدعاة لرحمة الله وسلام الملائكة عليه وذاك خير وأحب.

ونختم بحديث نبينا -ﷺ-:

(لا يزالُ النَّاسُ بخيرٍ ما لَم يتحاسَدُوا) حسنه الألباني،

دعوة من نبي الله -ﷺ- للخير وعدم التحاسد،

وذلك لن يكون بغير إجبار النفس وإخضاعها، ودعاء الله أن يرزقه قلباً ســليماً، وأن يســلل ســخيمة صدره، ولا ينسى استشعار زحام النعم التي تحيط به، وعدل الله في قضائه بين عباده.

لنصل إليكم.. ونشارككم

-روابط البث المباشر للدرس الأسبوعي .

-المواد الإثرائية والملخصات.

-نأخذ مشاركاتكم ونستمع لآرائكم الن يرة وأكثر..

يمكنكم الاشتراك **بقناة التليجرام لمدونة رواء:**

https://t.me/rawaablog

كما يمكنك متابعتنا من خلال زيارة **مدونة رَوَاء:**

https://rawaa.org/